وحياة سكانه ، بل يحكم سياسته واقتصاده في الحاضر ، كما في الماضي ٠ ويبقى الغائب الاكبر في تفسير الاشياء ، الاقتصاد ٠ فالهجرة مثلا ، لها علاقة بالجبال ، وبضيق الارض ، وبطبيعة ذلك « الانسان اللبناني » ، ولا علاقة لها بتاتا بنمط معين من الانتاج ٠ واذ يستحيل العامل الجغرافي الطبيعي مبدأ تفسيريا لكل الظاهرات ، يتحرر شيحا من قيود « ترسانة » الفكر العلمي ، فيرفع الى مطلق طبيعي ما هو تاريخي ، لانه خاص بنمط معين من الانتاج ، وببنية معينة من علاقات الانتاج هي بنية الرأسمالية التبعية الراهنة ، ويسقط على الماضي حاضرا يتجوهر ، فيتأبد ، بالوهم ، في تماثله مع ماض يتكرر ، فيصير بامكان شيحا ، حينئذ ، ان يستفسر لبنان الامس عن سر لبنان اليوم ، لان لبنان اليوم ، عنده ، في هذا الفكر المتجوهر ، وبه ، هو هو لبنان الامس ، واحد يتكرر ٠ والاصح القول انه بلبنان الامس هذا **يتبرر** ٠ فمنطق الايديولوجية البرجوازية يقوم ، في اساسه الطبقي ، على ضرورة ايجاد التبرير **الطبيعي** لنظام السيطرة البرجوازية ، باخفاء سره **الطبقي** ٠ والمنطق هذا ينتظم بنظام توق هذه الطبقة المحتضرة الى تأبيد سيطرتها الطبقية ، بحيث ينقلب فيه التاريخي طبيعيا ، ويستحيل الواقع الاجتماعي المحدد في الزمان وفي المكان (كلبنان اليوم) معطى مطلقا من معطيات الطبيعة ، وليس **نتاجا تاريخيا** ٠ هكذا يجد كامل النظام الاجتماعي والسياسي والاقتصادي لسيطرة هذه البرجوازية الكولونيالية ، بل لنظام هيمنة الطغمة المالية فيها ، (لا الهجرة وحدها) ، تبريره **الطبيعي** في المنطق الايديولوجي لهذا التفسير **الجغرافي** ٠ فلئن كان لبنان اليوم (لبنان هذه البرجوازية الكولونيالية) ، مفترق طرق وممرا للاخرين وموطىء قدم لهم وساحة عامة سائبة ورأس جسر نموذجي الخ ٠٠٠ ، فليس ذلك بسبب نظامه الاقتصادي الرأسمالي التبعي ، بل بسبب موقعه الجغرافي ٠ (لا وجود ، بالطبع ، لكلمة الرأسمالية في قاموس اللغة الشيحاوية) ٠ وكذلك ارتباطه التبعي بالامبريالية ، فهو يجد تبريره الطبيعي في تلك الواجهة الفسيحة التي يطل منها على البحر العريض (كأنه منفتح ، جغرافيا ، من جهة واحدة ، ولا واجهة له على الداخل العربي) ٠ هكذا كان من قبل ، وهو الان كما كان ، وكما هو سيبقى٠ هنا، بالفعل،تتضح الحاجة الايديولوجية الطبقية عند شيحا لاعتماد ذلك المنهج من النظر في الواقع الاجتماعي الذي تستخلص فيه ، من الماضي ، معرفة الحاضر ، وتستقرأ فيه ايضا معرفة المستقبل نفسه ، فالاتي يكرر الحاضر الذي هو شبيه بالماضي ، « كالماء بالماء » ، ان جاز ، في هذا المجال ، التعبير الخلدوني ٠ و « الماء » هذا هو العنصر الجغرافي الطبيعي ٠ انه الجوهر الثابت ٠ اما الانسان ، فهو العارض ٠ اذ كل من عليها فان ، ويبقى لبنان « بلدا بحريا » ، وطريقا جويا وبريا ، محطة ، مستودعا ، مفترقا ، واشياء اخرى ٠ لكننا نقتصر على الوجه الذي يجعل منه مكانا مختارا للتجارة والتبادل ٠٠٠ فلقد كان لبنان ، من قبل ، بلدا تجاريا ، منذ ثلاثة او اربعة